نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٨٤٨ — الفقير والغنى

أبو بكر الخوارزمي :

إن الفقير خفيف الظهر من كل حق ، منفك الرقبة من كل رق ، لا يلزمه أداء الزكاة ، ولا تتوجه إليه غوائل النائبات ، ولا يستبطئه إخوانه ، ولا تطمع فيه جيرانه . ولا تنتظر في الفطر صدقته ، ولا في النحر أضحيته[1] ، ولا في شهر رمضان مائدته ، ولا في الربيع باكورته ، ولا في الخريف فاكهته ، ولا في وقت الجباية خراجه وعشره ، فانما هو مسجد يحمل إليه ، ولا يحمل عليه ، وعلوى يؤخذ بيديه ، ولا يؤخذ من يديه ، يتجنبه الشرطي بالنهار ، ويتوقاه الحرس بالليل وفي الأسحار ، فهو إما غانم أو سالم . والغني إنما هو كالغنم غنيمة كل يد سالبة ، وصيد كل نفس طالبة ، وطبق موضوع على شارعة النوائب ، ومنصوب على مدرجة الطالب ، تطمع فيه الاخوان ، ويأخذ منه السلطان ، ويتطرق إليه الحدثان ، ويتحيف ماله النقصان ...

(١) الاضحية : ضم الهمزة في الأكثر وكسرها إتباعا لكسرة الحاء (المصباح) .

٨٤٩ — العقل

شرح (أدب الكتاب) لموهوب الجواليقي :

... عن محمد بن المرزبان عن شيخ له قال : قال الاصمعي : كانت العرب تقول : من كانت فيه خصلة أحمد من عقله فبالحري أن تكون سبب هلاكه .

فحفظت الحديث ، فحدثت به المدائني ، فقال : هذا حديث حسن ، وعندي آخر يشبهه ، كانت العرب تقول : من لم يكن عقله من أكمل ما فيه ، كان هلاكه من أيسر ما فيه .

ثم قال :

فاستأنفوا لي رسما أعود على ... ضنك معاشي به فيتسع

وإن زعمتم أني أتيت بها ... خديعة فالكريم ينخدع

ولا تطيلوا مني ، فلست ولو ... دفعتموني بالراح أندفع

وحلفوني ألا تعود يدي ... ترفع في نقله ولا تضع

يقول ابن خلكان : فما ألطف ما توصل به إلى بلوغ مقصوده بهذه الأبيات التي لو مرت بالجماد لاستمالته وعطفته .

وبعد فإن في هذه القصيدة الطريفة ائتلافا واضحا ، ورقة وانسجاما ، وتصويراً بارعا للعقوق يهز النفس ألما وحزنا ، ويمزق القلب أسى وحسرة . وإن الدنيا لحافلة في تصرفها بالناس بأشباه هذا الحادث .

فإن قيل إن الشاعر قد نحل أبناءه هذا العقوق ليملك من نفس الخليفة ، ويضمن انخداعه ، والكريم ينخدع ، فيرجع براتب آخر — قلت : لقد جلا عن قدرته على التمويه ، وبرع مع تعود الاعتقاد عن مفاصرته ، وشعور الشاعر بأنه يترجم عن اعتقاد من أقوى أسباب إجادته وإتقانه .

وقد أذكرني موقف أبناء ابن التماويذي منه بما قرأته عن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وكان من أبر الناس بأمه فقد قيل له : إنك لشديد البر بأمك ، فلم لا تأكل معها من صحفة واحدة ؟ قال : أخاف أن تسبق يدي إلى ما سبقت إليه عينها فأكون قد عققتها . فأين هذا البر من ذاك العقوق ؟

رحم الله آل البيت ، فما كانوا في الناس إلا أقباساً ساطعة من نور النبي الأعظم .

وفي الشاعر يقول يا قوت : وكل شعره غرر ، وديوانه كبير جمعه بنفسه قبل أن يضر ، وما حدث من شعره بعد العمى سماه الزيادات . وولد سنة ٥٠٩ ، وتوفي في بغداد سنة ٥٨٣ هـ وقد طبع الديوان بمصر في مفتتح هذا القرن بعناية الأستاذ مرجليوث ، ولكنه اليوم عزيز لا يكاد يكون في دكاكين الوراقين

أحمد عثمان عبد الجبار

فحفظت الحديثين ، فحدثت بهما أحمد بن يوسف فقال : هذان حديثان حسنان ، وعندى آخر يشبههما : كانت العرب تقول : من لم يكن عقله أغلب خصال الخير عليه كان سريعا إلى حتفه .

فحفظت الأحاديث ، فحدثت بها أبا دلف فقال : هذه أحاديث حسان ، وعندى حديث أحسن منها غير أنه لا يشبهها ، كانت العرب تقول : كل شيء إذا كثر رخص إلا العقل فإنه إذا كثر غلا .

فحفظت الأحاديث فحدثت بها الحسين بن على الكوكبي فقال : كان الحسن يقول : ما تم دين رجل حتى يتم عقله .

وبعد ، فقد قال ابن السماك : من لم يتحرز من عقله بعقله هلك من قبل عقله .

٨٥٠ — العاقل يعلو على همه وحزنه

إرشاد الأريب : قال أبو حيان :

كان يختلف إلى مجلس أبي سعيد (السيرافى) على بن المستنير ، وكان أبو سعيد يعرف له تقدمه على كثير من أصحابه ، وكان يرجع إلى وطأة خلق ، وحسن عشرة ، وحلاوة كلام ، وفقر مدقع ومعيشة ضيقة وكثرة عيال ومؤنة مع نشاط القلب ، وثبات النفس ، وطلاقة الوجه ، وكثرة المرح . وقرأ يوما على أبي سعيد ديوان الرقش ، وأخذ خطه بذلك ، وعجل الانصراف من عنده ، فقال أبو سعيد : أين عزمت ؟ قال : أذهب لأصلح أمر العيال . فدعا له بالرزق والسعة . فلما انصرف قلنا له : هذا الرجل مع ما هو فيه لا يعرف الحزن فى وجهه ، ولا يشتد همه ، ويقدر على دفعه . فالتفت بعضهم فقال : أيها الشيخ ، وراءه حال يخفيها عنا ، ويطويها منا[1] .

قال (أبو سعيد) :

ما أظن الأمر على ذلك ، لكن الرجل عاقل ، والعاقل يعلو على همه وحزنه فيقهرهما بعقله وعلمه ، والجاهل يشتد همه وحزنه ، ويرى ذلك فى وجهه ، ولا يقدر على دفعه لجهله .

فاستحسنا ذلك وأثبتناه .

(١) قالوا : خنى عليه وطواه عنه فالتصديان مولدتان

٨٥١ — أوادم

فى (اللزوميات) :

وما آدم فى مذهب العقل واحدا ولكنه عند القياس أوادم

جائز أن يكون آدم هذا قبله آدم على إثر آدم

فى (روح المعانى) تفسير الألوسى :

ذكر صاحب جامع الأخبار من الإمامية فى الفصل الخامس عشر أن الله خلق قبل أبينا آدم ثلاثين آدم ، بين كل آدم وآدم ألف سنة ، وأن الدنيا بقيت خرابا بعدهم خمسين ألف سنة ، ثم عمرت خمسين ألف سنة ، ثم خلق آدم .

وروى ابن بابويه فى كتاب التوحيد عن الصادق : لعلك ترى أن الله لم يخلق بشرا غيركم ، بلى والله لقد خلق ألف ألف آدم ، أنتم فى آخر أولئك الآدميين .

فى (مفاتيح الغيب) تفسير الرازى :

نقل فى كتب الشيعة عن محمد بن على الباقر عليه السلام أنه قال : قد انقضى قبل آدم الذى هو أبونا ألف ألف آدم أو أكثر .

فى (الفتوحات المكية) لابن عربى :

لقد أرانى فيما يرى النائم وأنا طائف بالكعبة مع قوم من الناس لا أعرفهم بوجوههم ، فأنشدنى بيتين ثبت على البيت الواحد ، ومضى عنى الآخر ، فكان الذى ثبت على من ذلك :

لقد طفنا كما طفتم سنينا بهذا البيت طرا أجمعينا

فتعجبت من ذلك . فقال لى واحد منهم وتسمى لى باسم لا أعرف ذلك الاسم قال لى : أنا من أجدادك ، قلت له كم لك مذمت ؟ قال : بضع وأربعون ألف سنة[1] . فقلت له : فما لآدم هذا القدر من السنين . فقال لى : عن أى آدم تقول ؟ عن هذا الأقرب إليك أو عن غيره . فتذكرت حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله خلق مئة ألف آدم[2] . فقلت قد يكون ذلك الجد الذى نسبى إليه من أولئك .

(١) الألف مذكر ، فى التاج : يذكر البضع مع المؤنث ويؤنث مع المذكر يقال بضعة وعشرون رجلا وبضع وعشرون امرأة ولا يعكس وفى المصباح : يستوى فيه المذكر والمؤنث فيقال بضع رجال وبضع نسوة .

(٢) نحن فى (نقل الأديب) لا فى (الاسلام الصحيح) وانما لطرائف أرويها لا حقائق أوحيها أى أكتبها

٨٥٢ — الحوائج بين اسامين

فى (المخصص) لابن سيده :

قال محمد بن يزيد[١] : (أما قولهم فى حاجة حوائج فليس من كلام العرب على كثرته على ألسن المولدين ، ولا قياس له) وهو فى هذا القول متبع الاصمعى لأن الاصمعى قال : خرجت الحوائج عن القياس فردها ، وقد غلطا معا ، على أن الاصمعى رجع عن هذا القول فيما حكى عنه ابن أخيه والرياشى ، وذكرا أنه قال : هى جمع حائجة . وقال أبو عمر : فى نفسى منه حاجة وحائجة وحوجاء والجمع حاجات وحوائج وحاج وحوج وأنشد :

صديق مدام ما يفرق بيننا حوائج من إلفاج مال ولا بخل[٢]

وأنشد أبو عبيدة للشماخ :

تقطع بيننا الحاجات إلا حوائج يعتسفن مدى الجرى[٣]

وأنشد غيره فى نحو منه :

يارب رب القلص النواعج مستعجلات بذوى الحوائج

ولو تشاغل أبو العباس بملح الأشعار ونتف الأخبار وما يعرفة من النحو كان خيرا له من القطع على كلام العرب ، وأن يقول : ليس هذا من كلامهم . فلهذا رجال غيره ، وياليتهم يسلمون أيضا[٤] .

٨٥٣ — أم أمالت على عطفا وجيدا

الطغرائى :

خبروها أنى مرضت فقالت أضنى طارقا شكا أم تليدا[٥]

وأشاروا بأن تعود وسادى فأبت — وهى تشتهى — أن تعودا

وأتتنى فى خيفة وهى تشكو ألم الوجد والمزار البعيدا[٦]

ورأتنى كذا فلم تتمالك أن أمالت على عطفا وجيدا

٨٥٤ — أعمى ، ومفلوج ، وأقطع

اجتمع على شراب فى بعض الحانات أعمى ومفلوج وأقطع[١] فقيل للأعمى : غن ، فغنى :

إنى رأيت عشية النفر حورا تفين عزيمة الصبر[٢]

فقيل : ويلك كيف رأيت وأنت أعمى؟ وقيل للمفلوج : غن فقال :

إذا اشتد شوقى وهاج الألم عدوت على بابكم فى الظلم

فقيل : مفلوج يعدو ! لا تكذب . وقيل للأقطع : هات غن ، فقال :

شبكت كفى على رأسى وقلت له ياراهب الدير هل مرت بك الإبل

فقالوا : أنت أكذبنا وأجودنا غناء ...

٨٥٥ — وما يغيرنى إذا حزنت ؟

إرشاد الأريب : عبدالوهاب بن غالب عن الشريف أبى العلاء ابن التقى قال : قدم إلى واسط فى بعض الأعوام عسكر الأعاجم ، فنهبوا قطعة من البلد ، ونهبوا دكان الشيخ أبى على بن مختار ، ونزلوا بداره ، قال الشريف فدخلت معه إليهم نستعطفهم أن يردوا عليه بعض ماأخذوه منه ، فلم نر لذلك وجها ، وخرجنا وهو يقول :

تذكرت ما بين العذيب وبارق مجر عوالينا ومجرى السوابق

ثم التفت إلى فقال : ما العامل فى الظرف فى هذا البيت[٣]؟

فقلت له : ياسيدى ، ماشغلك ماأنت فيه عن النحو والتظرفيه ؟

فقال : يا بنى ، وما يغيرنى إذا حزنت ؟ ..

---

(١) المبرد وقد ورد قوله فى (كامله) فى شرح بيت للراعى .

(٢) ألفج الرجل أفلس

(٣) الجرى : الرسول .

(٤) يقول الحريرى فى الدرة : ويقولون فى جمع حاجة حوائج فيوهمون فيه كما وهم بعض المحدثين فى قوله :

إذا ما دخلت الدار يوماً ورفعت ستورك لى فانظر بها أنا خارج

فبان بيت العنكبوت وجوسق رفيع إذا لم تقض فيه الحوائج

الجوسق : القصر والحوائج كما قال ابن سيده .

(٥) رواها الصفدي فى شرح اللامية ثم قال : هذه الأبيات يرشفها السمع مداما ، ويفضلها السامع على العقود نظاما ، ويظن الناظر ألفاظها فصوتاً والمعزات عليها حداما .

(٦) الرواية (فى خيفة) وربما كانت فى (خفية) بكسر الخاء وضمها

(١) الأقطع : المقطوع اليد والجمع قطع وقطعان مثل أسود وسودان (اللسان)

(٢) النفر : التفرق . فى المصباح : نفر الحاج من منى دفعوا ، والحاج نفران فالأول هو اليوم الثانى من أيام التشريق ، والنفر الثانى هو اليوم الثالث منها . وأيام التشريق ثلاثة وهى بعد يوم النحر ، قيل سميت بذلك لأن لحوم الأضاحى تفرق فيها أى تقدد فى الشمس ، وقيل تمريقها تقطيعها وتشريحها

(٣) فى شرح العكبري : ما بين العذيب مفعول تذكرت ، ومجر بدل منه بدل اشتمال ، ويجوز أن يكون ظرفا للتذكر . وفى الشرح الذى رجع فيه البرقوقى إلى الواحدى وغيره : مابين لك أن تجعله ظرفا لتذكرت ومجر بدل اشتمال كأنه قال مجر عوالينا فيه ، ولك أن تجعل ما زائدة وبين العذيب ظرفا لمجر .

وبيت مطاع سبيعة يقول فيهما أبو الطيب :

وما الحسن فى وجه الفتى شرفا له إذا لم يكن فى فعله والخلائق

وما بلد الانسان غير الموافق ولا أهله إلا دنوف غير الأصادق

وجائرة دعوى المحبة والهوى وإن كان لا يخفى كلام المنافق